مكتبة الطفل العربي
٢
الفارسُ العظيم
مجدي صابر
دار الجيل

مَكتَبة الطّفل العَربي

(٢)

الفارِسُ العظِيم

تأليف
مَجدي صابر

دار الجيل
بيروت - القاهرة - تونس

تأليف : مَجدي صَابر

هي مجموعة جديدة وشيقة من قصصِ الأطفالِ، كُتبتْ بأسلوبٍ أدبيٍّ ممتاز، يمتزجُ فيها الخيالُ مع الواقع.. والحلمُ مع الحقيقة، لتصنعَ عالماً أخاذاً مُبهراً، يناسبُ عقلَ وسِنَّ قارئِها الصغيرِ، ويَفتح أمامَ عينيه أبواباً لا حصرَ لها من المعرفةِ والقِيَمِ التربويةِ والأخلاقِ النبيلةِ.

ونحن نفخرُ بأن تؤدي هذه المجْمُوعةُ القَصَصِيَّةُ المَكْتوبةُ والمُخْتارةُ بِعِنايَةٍ بالِغةٍ، الغَرضَ منها تماماً، وتُحاوِل أن تَسدَ بعض النَّقصِ في مكتبةِ الطِّفلِ العربيِّ، دونَ أن تَسْتهينَ بِعقلهِ، أو تَتَخطى قِيَمه وعاداته.

ونَأملُ أن نَكونَ قد حَقَّقْنا الهَدَفَ الّذِي نَرْجُوه من إصْدارِنا لهذه المَكتبةِ، وأن تَحْتلَ قِصَصُها مكانها اللائق في مكتبةِ كلِّ طفلٍ عربيّ.

الفارِسُ العظِيم

عَاشَ خَيَّاطٌ فِي إِحْدَى المَمالِكِ القَدِيمةِ، وَكَانَ رَجُلاً فَقِيراً لا يَمْلِكُ غَيْرَ حَانُوتٍ صَغِيرٍ، يَعْمَلُ فِيه بِلا مُعاوِنِينَ أوْ مُساعِدينَ، بِسَبَبِ فَقْرِهِ، وقِلَّة عَمَلِه.

وَكَانَ لِلْخَيَّاطِ زَوْجَةٌ طَيِّبَةٌ، تُساعِدُهُ فِي عَمَلِهِ، فَتَقُصُّ لَهُ القِماشَ، أو تُحِيكهُ. وكَانَ الاثْنانِ، الخيَّاطُ وَزَوْجَتُهُ يَعيشانِ عَلَى ما يَكْسِبانِهُ مِنَ الخِياطَةِ، وكَانَ رُغْمَ قِلَّتهِ يَكْفيهِما، فَقَدْ كانَا قانِعَيْنِ راضِيَيْن.

وذَاتَ يَوْمٍ أَحَسَّتْ زَوجَةُ الخَيَّاطِ بِبوادِرِ حَمْلٍ، فأَسْرَعَتْ إِلَى زَوْجِها مُبْتَهِجةً، وأخْبَرَتْهُ بِٱلنَّبإِ مَسْرُورةً، فَتهلَّلَ وَجْهُ الخيَّاطِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ بِٱلدُّعاءِ والشُّكْرِ إِلَى اللهِ قائِلاً: «شُكْراً لَكَ يا إِلهِي، فَسَوْفَ يَكُون لنا طِفْلٌ يُعينُنا عِنْدَما تَشْتَدُّ الأَيّامُ بِنا،

وتَقْسُو عَلَيْنا، فَلا نَقْدِرُ عَلَى العَمَلِ عِنْدَما تَكْبرُ سِنُّنا، فَيَكُونُ فِي ٱبْنِنا الخَيْرُ والبَرَكَةُ، فَيَقُومَ بِعَمَلِنا، ويَرعَى أمْرَنَا».

ومَرَّتِ الأَيَّامُ. وعِنْدَما حَانَ وَقْتُ الوِلادةِ، ابْتَهَلَ الخَيَّاطُ إلَى اللهِ، أنْ تَتِمَّ فِي سُهُولَةٍ ويُسْرٍ. وبَعْدَ قَلِيلٍ خَرَجَتِ القابِلَةُ مِن حُجْرَةِ زَوْجَتِهِ، وكَانَ الحُزْنُ يَكْسُو وَجْهَها، فَٱرْتَعَبَ الخَيَّاطُ وخَافَ، أنْ يَكُونَ قَدْ حَلَّ بِزَوْجَتِهِ أَوْ طِفْلِهِ سُوءٌ، وسَأَلَها مُرْتَعِشاً: «ماذَا حَدَثَ، هَلْ أُصِيبَتْ زَوْجَتي بِسُوءٍ؟».

أَجابَتْهُ القابِلَةُ: «لا.. إنَّ زَوْجَتَكَ بِخَيرٍ، وكَذَلِكَ مَوْلُودَها، فَقَدْ أَنْجَبَتْ ذَكَراً جَمِيلاً، ولَكِنَّهُ لَيْسَ كَكُلِّ الأَطْفالِ، فَقَدْ وُلِدَ بِلا ذِراعَيْن».

ذُهِلَ الخَيَّاطُ ولَمْ يُصدِّقْ ما سَمِعَهُ، وٱنْدَفَعَ إلَى حُجْرةِ زَوْجتِهِ، فَوَجَدها راقِدَةً فِي فِراشِها، تَحْتَضِنُ طِفْلَها، وهِي تَجْهَشُ بِٱلبُكاءِ الشَّدِيد.

نَظَرَ الخيَّاطُ إلَى ابْنِهِ، وسَقَطَتِ الدُّمُوعُ مِن عَيْنَيْهِ، فَقَدْ كَانَ الطِّفْلُ كمَا ذَكَرَتِ القابِلَةُ، بِلا ذِراعَيْنِ.

ـع الخيَّاطُ يَدَيْهِ إِلَى السَّماءِ وقالَ: «حِكْمتُكَ يا رَبُّ، إنَّ هَذَا الطِّفْلَ هِبَتُكَ، ونَحْنُ بِهِ راضِيانِ، مَهْمَا كَانَتْ عاهَتُهُ، أو نَقْصُهُ».

وواسَى الخيَّاطُ زَوْجَتَهُ حتَّى كَفَّتْ عَنِ البُكاءِ، فاْحْتَضَنَتْ طِفْلَها وسَأَلْتَ زَوْجَها: «بِمَ نُسَمِّي طِفْلَنا؟».

فَكَّرَ الخيَّاطُ وقَالَ: «سَنُسَمّيهِ «علاء»، فَهُوَ وإنْ كَانَ قد وُلِدَ بِلا ذِراعَيْنِ، فاَللَّهُ قادِرٌ عَلَى مَنْحِهِ مِنَ الصِّفاتِ والذَّكاءِ ما يُعلِي شَأْنَهُ، ويُعَوِّضُهُ عَنْ فَقْدِ ذِراعَيْه».

قَالَتِ الزَّوْجةُ حَزِينةً: «كُنَّا نَنْتَظِرُ طِفلاً يُساعِدُنا فِي شَيْخُوخَتِنا، فَرَزَقَنا اللَّهُ بِطِفْلٍ سَيَظَلُّ يَعْتَمِدُ عَلَيْنا إِلَى أنْ يَمُوت».

ومَرَّتِ الأَيّامُ وَكَبُرَ علاء، وصَارَ غُلاماً يافِعاً، وكَانَ شُجاعاً قَوِيًّا، تَظْهَرُ عَلَيْهِ مَعَالِمُ الذَّكاءِ، ويَشِعُّ مِن عَيْنَيْهِ بَرِيقٌ عَجِيبٌ. وعِنْدَما كَانَ علاء يَسِيرُ فِي الطُّرُقاتِ، كَانَ النَّاسُ يُشِيرُونَ نَحْوَهُ ويَقُولُونَ مُشْفِقِينَ: «أُنظُرُوا إِلَى آبنِ الخيَّاطِ، ما أجْمَلَهُ وأشَدَّهُ، ولَكِنَّهُ بِلا ذِرَاعَيْن».

فَكَـانَ عَلاء يَحْـزَنُ لِذَلِـكَ، وتَسْقُطُ الـدُّمُـوعُ مِنْ عَيْنَيْـهِ، وعِنْـدَما يُشـاهِـدُ بَعْضَ الأَطْفـالِ يَلْعَبُـونَ، كَـانَ يَقْتَـرِبُ مِنْهُمْ، ويُحـاوِلُ الانْضِمامَ إِلَيْهِمْ، فَكـانُوا يَـدْفَعُونَـهُ زَاجِرينَ، ويُعَيِّـرُونَهُ قَـائِلينَ: «كَيْفَ تُشـارِكُنـا لَعِبَنـا وأَنْتَ مَقْـطُوعُ الـذِّراعَيْنِ. . هيَّـا ٱذْهَبْ بَعِيداً عنَّا، أوِ ٱكْتَفِ بِٱلمُشاهَدة».

فَكَـانَ عَلاء يَحْـزَنُ أَكْثرَ. . ويَـزْدادُ حُزْنُـهُ عِنْدمـا يُشـاهِـدُ أَقْـرانَـهُ، ذاهِبينَ إِلَى مَـدارِسِهِمْ، حَـامِلِينَ أَقْـلامَهُمْ وأَوْراقَهُمْ، فَتَسْقُطُ الـدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْـهِ، لِأَنَّـهُ بِـلاَ ذِراعَيْنِ، وَلاَ يُمْكِنُـهُ تَعَلُّمَ القِراءَةِ والكِتَابَة.

ولِـذَلِكَ كَـانَ عَلاء يُمْضِي أَغْلَبَ وَقْتِـهِ جالِسـاً وَحِيـداً فِي الخَـلاءِ، فَلَمْ يَكُنْ هُنَـاكَ مَنْ يَـرْضَى بِصُحْبَتِـهِ، أَوْ يُـوافِقُ عَلَى رِفْقَتهِ. وكَانَتْ هُنَاكَ غَزالَةٌ وَحِيدَةٌ، إِعْتادَ أَنْ يَراها فِي جَلْسَتِهِ كُلَّ يَـوْمٍ، وهِيَ تَرْعَى الكَـلأَ، حَتَّى قَـامَتْ بَيْنَهُمـا صَـداقَـة. فَقَـدْ أَنِسَتِ الغزالَةُ لَهُ، وعَوَّضَ علاءٌ بِها وِحْدَتَهُ، فَصارَتْ رَفيقَةَ لَعِبِـهِ، وأنِيسةَ لَهْوِهِ، فَكَانا يمرحانِ ويَتسابَقانِ كأنّهُما الرِّيح. وكَانَ علاء سَرِيعاً فِي العَـدْوِ، خَفِيفاً كـأَنَّهُ الـرِّيحُ، مُنْـطَلِقاً كـأنّهُ السَّهْمُ فِي

ٱنْـدِفاعِـهِ، فَكَانَ كَثِيـراً ما يَسْبِقُ الغـزالَةَ الَّتِي تَفْشَـلُ فِي اللَّحـاقِ بِهِ . .

وذَاتَ يَوْمٍ أَصَرَّ علاء عَلَى تَعَلُّمِ الخِيَاطَةِ، عِنْدَمـا شَاهَـدَ والِـدَهُ مُتْعَباً مِنْ كَثْـرَةِ العَمَلِ . وأسـرَّ إِلَى والِدِهِ بِـرَغْبتِـهِ، فَقَـالَ الخَيَّاطُ مُنْدَهِشـاً لابْنِهِ: «وَكَيْفَ تَتعَلَّمُ الخِيـاطَةَ يـا وَلَدِي، وأَنْتَ بِلا ذِراعَيْن؟».

قَالَ عَلاء: «إن لَمْ يَكُنْ لِي ذِراعَـانِ، فَإِنَّنِي أمْلِكُ سـاقَيْنِ وقَدَمَيْنِ، وَسَوْفَ أَسْتَعْمِلُ أصابِـعَ قَدَمَيَّ بَـدَلاً مِن أَصابِـع يَدَيَّ، فِي أَعْمالِ الخِياطَة».

وخَلَعَ عَـلاء حِذاءَهُ، وجَـاهَدَ حَتَّى أَمْسَـكَ الإِبْرَةَ الـطَّوِيلَةَ بِأَصابعِ قَدَمِهِ اليُمْنَى، وبِأَصـابعِ قَـدَمِهِ اليُسْـرَى أَمْسَكَ الخَيْطَ. وعِنْـدَما حَـاوَلَ إِدْخالَ الخَيْطِ فِي فَتْحَـةِ الإِبْرةِ، أَصـابَتْهُ سِنُّهـا، وشَكَّتْهُ فِي إِصْبـعِ قَدَمِهِ، فَتَأَلَّمَ بِشِدَّةٍ، وَسَـالَتْ مِنْ إِصْبَعِهِ قَـطْرةُ دَمٍ ، وَلكِنَّ عَـلاء تَحَمَّلَ الأَلَمَ، وَواصَـلَ المُحاوَلَـة. وبَعْدَ وَقْتٍ تَمَكَّنَ مِنْ إِدْخَـالِ الخَيْطِ فِي فَتْحـةِ الإِبْـرَةِ، فَسَعِـدَ بِـذَلِـكَ، وٱحْتَضَنَهُ والِدُهُ مِنْ شِـدَّةِ فَرْحَتِـهِ، وبَدأَ يُعَلِّمُـهُ أُصُولَ الخِيَـاطة.

وتَمَكَّنَ عَـلاء بَعْدَ وَقْتٍ قَلِيـلٍ ، مِنْ إجـادَةِ الخِيـاطـةِ بِـأَصَـابِـعِ قَدَمَيْهِ. فَكَانَ يُمْسِكُ الإبْرَةَ بَيْنَ أصابعِ قَدَمِـهِ اليُمْنَى، والقِماشَ بَيْنَ أصـابعِ قَـدَمِهِ اليُسْـرَى، ويَقُومُ بِـالخِياطَـةِ بِمَهارَةٍ. . فَكـانَ النَّاسُ يَرَونَ ذَلِـكَ ويَتَعَجَّبُونَ. . ثُمَّ تَعَلَّمَ عَـلاء القِراءَةَ والكِتـابةَ بِقَدَمَيْهِ، فَتَعَجّبَ النَّاسُ أكْثَر.

أمّا عَلاء فَأَخَذَ يَسْتَعْمِلُ أَصابعَ قَدَمَيْهِ، مَكانَ يَدَيْهِ فِي كُـلِّ الأَعْمالِ ، الَّتِي يَقُومُ بِهَا الإنْسانُ السَّلِيمُ، فَسَعِـدَ وَالِدُهُ بِـذَلِكَ، وحَمَـدَ اللَّه وشَكَرَهُ. وعِنْـدَما تَقَـدَّمَتْ بِهِمـا السِّنُّ، طَلَبَ عَـلاء مِنْهُما، أنْ يَرْكُنا إلَى الرَّاحَةِ، وقَامَ هُوَ بِكُلِّ ما تَتطَلَّبُهُ الخِياطَةُ مِنْ أَعْمالٍ ، بِلاَ مَشَقَّةٍ أوْ عَناءٍ.

وبَلَغَ عَـلاء سِنَّ الرِّجـالِ ، وصَـارَ لَـهُ مِنَ العُمْـرِ عُشْـرُونَ عَـاماً، وهُـوَ بِلاَ أَصْـدِقاءَ أوْ رِفـاقٍ، غَيْرَ صَـدِيقَتِهِ الغَـزالَـةِ الَّتِي هَرِمَتْ. وكانَتْ مُتْعَةُ علاء الـوَحِيدةُ أنْ يُسـابِقَ ظِباءَهـا، فَيَتَغَلَّبَ عَلَيْهِم جَمِيعاً بِسَبَبِ سُرْعَتِهِ، وتَسْقُطَ الغِزْلانُ الصَّغِيرةُ مُنْهكَةً مِن شِـدَّةِ الجَرْيِ، بِـدُون أن يُصِيبَ عَـلاء تَعَبٌ أوْ كَلَلٌ، فَيَضْحَـكُ مَسْرُوراً، ويَرْبُتُ عَلَى الغِزْلانِ الصَّغِيرةِ مُشْفِقاً.

وَعِنْدَما أَرادَتْ والِدَتُهُ تَـزْوِيجَهُ، اخْتَـارَتْ لَهُ فَتـاةً جَمِيلَةً، ولَكِنَّ الفَتاةَ قَالَتْ لِـلأُمِّ مُسْتنكِرةً: «كَيْفَ تُـرِيدينَ أن أتَـزَوَّجَ مِنْ شَابٍّ بِلا ذِراعَيْنِ؟».

* * *

وذَاتَ يَـوْمٍ كَانَ عَـلاء فِي دُكَّانِـهِ، يُمارِسُ عَمَلَهُ، عِنْـدَما سَمِعَ طُبُولَ الحَرْبِ تَدُقُّ فِي القَلْعَةِ القَدِيمَـةِ، الَّتِي يَسْكُنُها قـائِدُ الفُرْسانِ. وسَمِعَ عَلاءُ المُنادِينَ، يَجُوبُـونَ الأَسْوَاقَ والـطُّرُقاتِ، وهُمْ يُنادُونَ: «أيُّها النَّاسُ، لَقَدْ أُعْلِنَتِ الحَرْبُ، فالأَعْـداءُ عَلَى الأَبْـوابِ، وقِوامهُمْ أَلْفُ أَلفِ مُقـاتِلٍ، وعَشْـرةُ آلافِ فـارِسٍ، وسِلاحٌ وعتادٌ لا حَصْـرَ لَهُ ولا عَـدَّ، وقَدْ أقـامُوا الحِصـارَ، حَوْلَ مَدِينةِ الأَسْرارِ، ويَنْوُونَ قَتْلَ سُكَّانِها وتَخْرِيبَها، ثُمَّ يَنْدَفِعُـونَ إِلَى بَقِيَّةِ مُدُنِنـا، فَيَقْتَلِعُونَ زَرْعنـا، ويَقْتلُونَ أَهْلَنا، ويَنْهَبُـونَ دِيارَنَـا. فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ قادِراً عَلَى حَمْلِ السِّلاحِ، والدِّفاعِ عَنِ البِلادِ، فَلْيَتقـدَّمْ إِلَى قائِـدِ الفُرْسـانِ، فِي القَلْعَـةِ القَـدِيمَـةِ، لِيَنْضَمَّ إِلَى الجَيْشِ ويُلاقِيَ الأَعْداءَ، فَيَكُونُ النَّصْرُ حَليفَنا بإِذْنِ اللهِ».

فَلَمَّا سَمِعَ عَلاء هَذَا النِّداءَ، تَرَكَ مـا فِي يَدَيْـهِ فِي الحَالِ وأَغْلَقَ الدُّكَّانَ، وأَسْرَعَ إِلَى بَيْتِهِ، فَٱسْتَقْبَلَهُ والِدُهُ قَلِقـاً وَقَالَ لَـهُ:

«هَلْ سَمِعتَ يا ولَدِي ذَلِكَ النِّداءَ، لَقَدْ قـامَتِ الحَرْبُ، والقـائِدُ يَطْلُبُ الشُّبانَ الشُّجْعـانَ لِمُقاتَلَةِ الأَعْـداءِ.. لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ شَيْخاً عَجُـوزاً، لما تَـوانَيْتُ عَنِ الانْضِمامِ إِلَى الجَيْشِ والـدِّفاعِ عَنِ البِلاد».

قَالَ عَلاء: «لَقَدْ سَمِعْتُ طُبُولَ الحَرْبِ والنِّداءَ يـا وَالِدِي، ولِهَـذَا أَتَيْتُ لأَحْصُلَ عَلَى إِذْنِـكَ، قَبْـلَ أنْ أُلَبِّيَ نِـداءَ الـوَطَنِ، وأَنْضَمَّ إِلَى جَيْشِنا الَّذِي سَيَخْـرُجُ لِمُقاتَلَةِ أَعْدائِنا، وفَـكِّ الحِصارِ عَن مَدِينَةِ الأَسْرار».

قَـالَ الخيَّـاطُ مَـذْهُـولاً: «وَكَيْفَ يُمْكِنُـكَ الانْضِمـامُ إِلَى الجَيْشِ يـا وَلَـدِي، كَيْفَ سَتَحْمِــلُ سَيْفـاً أو حَــرْبَـةً وتُقــاتِـلُ الأَعْداء؟».

وَقَالَتْ زَوْجَةُ الخيَّاطِ نادِبـةً: «هَلْ تُـرِيدُ أنْ تُلْقِيَ بِنَفْسِـكَ إِلَى التَّهْلُكَـةِ يا وَلَـدِي، دَعِ القِتـالَ لِمَنْ كَـانَ أَهـلاً لَـهُ، وعَلَى ٱسْتِعدادٍ لِمُلاقَاته».

وَلَكِنَّ علاء أصرَّ عَلَى مَوْقِفِهِ وقَالَ: «يا والِدَيَّ العَزِيـزَيْن، لَقَـدْ رَبَّيْتُماني مُنْـذُ طُفُـولَتي، وعَلَّمْتُمـاني أَنْ لَا فَـرْقَ بَيْنِي وبَيْنَ

الشُّبانِ الأَصِحّاء. وإنْ كُنْتُ لا أسْتَطيعُ الإسْهامَ فِي قِتالِ الأَعْداءِ بِٱلسَّيْفِ أو الحَرْبةِ، فَلا بُدَّ أنّ هُناكَ أعْمالاً أُخْرَى، أسْتطيعُ القِيامَ بِها لِلْمُساهَمَةِ فِي الدِّفاعِ عَنْ بِلادِنا ومَمْلَكَتِنا، مِنْ هُجُومِ الأَعْداءِ.. فَهَذا هُوَ واجِبِي نَحْوَ وَطَنِي، وَيَجِبُ أنْ أُلَبِّيهِ دُونَ تَرَدُّدٍ فِي الحَالِ.. أمّا إذَا مَنَعْتُماني، يَا أَبِي وأُمِّي، فَسَوْفَ أُذْعِنُ لِقَرارِكُما، وأُوافِقُ عَلَى أَمْرِكُما، ولَكِنَّني سَأَظَلُّ حَزِيناً بَقِيّةَ عُمْرِي، لِأَنَّني سَأَشْعُرُ وَقْتَها، أنّني عَاجِزٌ بِٱلفِعْلِ، وأقلُّ مِنْ أيِّ إنْسانٍ، لِأَنَّني بِلاَ ذِراعَيْنِ، فَهُما اللَّذانِ مَنَعانِي مِن قِتالِ الأَعْدَاء».

تَبَلَّلَتْ عَيْنا الخيَّاطِ بِٱلدُّمُوعِ، وٱحْتَضَنَ ولَدَهُ وَقَالَ: «لا يا بُنَيَّ.. لا تَقُلْ هَذَا الحَدِيثَ مَرَّةً أُخْرَى، إنَّكَ سَيّدُ الشُّبانِ، ولَسْتَ أقلَّ مِنْ أَيِّ إنْسانٍ، فَلْتَنْطَلِقْ لِمُلاقَاةِ الأَعْداء. فَإنْ كَانَتِ النَتِيجَةُ النَصْرَ فَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَسَوْفَ نَفْتَخِرُ بِكَ أنا وأُمُّكَ، وإنْ كَانَتِ الشَّهادَةُ مِنْ نَصِيبِكَ فَلَنْ نَبْكِيَ عَلَيْكَ، وإنّما سَنَفْرَحُ بِشهادَتِكَ، لأَنَّ اللَّهَ كَرَّمكَ بِها».

وَدَّعَ عَلاء أباهُ وأُمَّهُ، وٱنْطَلَقَ فِي الحَالِ، صَوْبَ القَلْعَةِ القَدِيمةِ، الَّتِي يَسْكنُها قائِدُ الفُرْسان.

وهُناكَ وَجَدَ علاء آلافاً وآلافاً مِنَ الرِّجالِ والشُّبانِ، الَّذِينَ قَدِمُوا مِنْ كُلِّ الأَنْحاءِ، ووَقَفُوا فِي صُفُوفٍ طَوِيلةٍ مُتراصَّةٍ، أَمامَ القَلْعَةِ القَدِيمَةِ، يَنْتَظِرُونَ تَوْزِيعَ السِّلاحِ عَلَيْهِمْ، والخُرُوجَ لِمُلاقاةِ الأَعْداء.

وَكَانَ قائِدُ الفُرْسانِ يَقُومُ بِتَوْزِيعِ السِّلاحِ بِنَفْسِهِ، عَلَى أَفْرادِ جَيْشِهِ، وكَانَ السِّلاحُ سُيُوفاً ودُرُوعاً ونِبالاً ورِماحاً. وقَدْ رَاحَ فُرْسانُ القائِدِ يُساعِدُونَهُ فِي تَوْزِيعِ السِّلاحِ، وهُمْ يَبُثُّونَ الحَماسَةَ والشَّجاعَةَ فِي قُلُوبِ المُتقَدِّمينَ، فَتَعْلُو الصَّيْحاتُ مِنْ أَفْواهِ الجُنُودِ، هادِرةً تَهُزُّ الجِبال.

وعِنْدما حَلَّ الدَّورُ عَلَى عَلاء لِيأْخُذَ سِلاحَهُ، نَظَرَ إِلَيْهِ قائِدُ الفُرْسانِ مُتَعَجِّباً وَقَالَ مُتَحَيِّراً: «أَيُّها الشَّابُّ، كَيْفَ يُمْكِنُكَ الانْضِمامُ إِلَى الجَيْشِ وَحَمْلُ السِّلاحِ وأَنْتَ بِلاَ ذِراعَيْنِ؟».

أَجابَهُ علاء: «سَيِّدِي القائِدُ، إِنَّنِي أَهِبُ قَلْبِي ورُوحي فِداءً لِوَطَنِي، فَلاَ تَحْرِمْنِي شَرَفَ هَذَا العَمَلِ والوَاجِبِ المُقدَّسِ، فَإِنْ كُنْتُ لا أَسْتَطِيعُ حَمْلَ السِّلاحِ، فَلا بُدَّ أَنَّ هُناكَ عَملاً آخَر يُناسِبُنِي، لِخِدْمَةِ وَطَنِي».

وهُناكَ وَجَدَ علاء آلافاً وآلافاً مِنَ الرِّجالِ والشُّبانِ، الَّذِينَ قَدِمُوا مِنْ كُلِّ الأَنْحاءِ، ووَقَفُوا فِي صُفُوفٍ طَوِيلةٍ مُتراصَّةٍ، أَمامَ القَلْعَةِ القَدِيمَةِ، يَنْتَظِرُونَ تَوْزِيعَ السِّلاحِ عَلَيْهِمْ، والخُرُوجَ لِمُلاقاةِ الأَعْداء.

وَكَانَ قائِدُ الفُرْسانِ يَقُومُ بِتَوْزيعِ السِّلاحِ بِنَفْسِهِ، عَلَى أَفْرادِ جَيْشِهِ، وكَانَ السِّلاحُ سُيُوفاً ودُرُوعاً ونِبالاً ورِماحاً. وقَدْ رَاحَ فُرْسانُ القائِدِ يُساعِدُونَهُ فِي تَوْزِيعِ السِّلاحِ، وهُمْ يَبُثُّونَ الحَماسَةَ والشَّجاعَةَ فِي قُلُوبِ المُتقَدِّمينَ، فَتَعْلُو الصَّيْحاتُ مِنْ أَفْواهِ الجُنُودِ، هادِرةً تَهُزُّ الجِبال.

وعِنْدما حَلَّ الدَّورُ عَلَى عَلاء لِيأْخُذَ سِلاحَهُ، نَظَرَ إِلَيْهِ قائِدُ الفُرْسانِ مُتَعَجِّباً وَقَالَ مُتَحَيِّراً: «أَيُّها الشَّابُّ، كَيْفَ يُمْكِنُكَ الانْضِمامُ إِلَى الجَيْشِ وَحَمْلُ السِّلاحِ وأَنْتَ بِلاَ ذِراعَيْنِ؟».

أَجابَهُ علاء: «سَيِّدِي القائِدُ، إِنَّنِي أَهِبُ قَلْبِي ورُوحي فِداءً لِوَطَنِي، فَلاَ تَحْرِمْنِي شَرَفَ هَذَا العَمَلِ والوَاجِبِ المُقدَّسِ، فَإِنْ كُنْتُ لا أَسْتَطِيعُ حَمْلَ السِّلاحِ، فَلا بُدَّ أَنَّ هُناكَ عَملاً آخَر يُناسِبُنِي، لِخِدْمةِ وَطَنِي».

أُعْجِبَ قـائِدُ الفُـرْسانِ بِشَجـاعَةِ عـلاء وقَالَ: «حَسنـاً أَيُّها الشَّابُّ، سَوْفَ تَكُونُ ضِمْنَ مُؤَخّرَةِ الجَيْشِ، فَتعـاوِنَ فِي حَمْلِ العَتـادِ والسِّلاحِ فَـوْقَ ظَهْرِكَ، وَتَنْقُلَهُ إِلَى إِخْـوانِكَ ورِفـاقِكَ فِي المُقدِّمة».

سَعِدَ علاء بِقرارِ قائِدِ الفُرْسـانِ وقَالَ: «سـأَفْعَلُ يـا سَيِّدِي وأرْجُو أنْ أكُونَ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّكَ».

ولَكِنَّ أحَـدَ الفُرْسـانِ قَالَ سَـاخِراً: «ومـا حَاجَتُنـا إِلَى مَنْ يَحْمِلُ الطَّعامَ والسِّلاَحَ، فإن لَدَيْنـا الكَثِيرَ مِنَ الـدَّوابِّ والبِغالِ، الَّتِي تَقُوم بِنَفْسِ العَمَل. إِنَّنا نُرِيدُ مُقاتِلينَ لا حَمَّالِين».

تَبَلَّلَتْ عَيْنا عَلاء بِٱلدُّمُوعِ عِنْدمـا سَمِعَ حَـدِيثَ الفَارِسِ، وَفِي اللَّحْـظَةِ نَفْسِهـا وَقَعَتْ عَيْنـاه عَلَى ٱبْنَـةِ قـائِـدِ الفُـرْسـانِ الجَمِيلَةِ، وَهِيَ واقِفَـةٌ فِي شُرْفَـةِ القَلْعَةِ، وتَنْـظُرُ نَحْـوَ عَـلاء فِي إِشْفـاقٍ، فَخَجِلَ عـلاء وتَمنَّى لَوْ أنّـهُ لَمْ يَأْتِ مُتَـطوعاً، حَتَّى لا يَتَعَرَّضَ لِتِلْكَ الإِهانَةِ، ويُحِسَّ بِعَجْزِهِ وعاهَتِهِ.. وتَوَقَّعَ أنْ يُنَحِّيَهُ القائِدُ عَنِ الانْضِمامِ لِلْجَيْشِ الذَّاهِبِ لِقتالِ الأَعْداء.

وَلكنَّ قائِدَ الفُرْسانِ قَالَ فِي إصْرارٍ: «لَقَدْ أَمَرْتُ أنْ يَنْضَمَّ هَـذَا الشَّابُّ إلَى جَيْشي، ولَنْ أتَـراجَعَ عَنْ قَـرارِي، فَٱلجُنْـدِيَّـةُ شَرفٌ لا أَسْتَطِيعُ أنْ أحرُمَ مِنْهُ إنْساناً، والدِّفاعُ عَنِ الوَطَنِ حَقٌّ لا يُمْكِنُ ٱنْتِزاعَهُ مِنْ أَيِّ رَجُلٍ أو شابٍّ مَهْما كَان».

رَفَعَ عَلاء عَيْنَيْهِ إلَى ٱبْنَةِ قائِدِ الفُـرْسانِ الحَسْنـاءِ، فَشَاهَـدَ وَجْهَها وقَدْ أضاءَ بِٱلسَّعـادةِ لِقَرَارِ والِـدِهـا. فَسَعِـدَ علاء بِـذَلِكَ، وٱنضَمَّ إلَى مُؤَخَّـرةِ الجَيْشِ، وقـامَ بَعْضُ المُعـاوِنينَ، بِتَحْمِيلهِ فَـوْقَ ظَهْـرِهِ بـالسِّـلاحِ والعَتـادِ، مِنْ سُيُـوفٍ وسِهـامٍ ونِبـالٍ، ورَبَطُوها جَيِّداً، حَتَّى لا تَسْقُطَ مِن مَكانِها.

وبَعْدَ وَقْتٍ ٱكْتَمَلَ تَسْلِيحُ أفْرادِ الجَيْشِ، ودُقَّتِ الـطُّبُولُ، وعَلا صَوْتُ النَّفيـرِ، فَتأَهَّبَ الجَيْشُ لِلتَقَـدُّم. ومَعَ إشـارةِ قائِـدِ الفُـرْسانِ، بَـدأَ ٱنْدِفـاعُ الجَيْشِ نَحْوَ الأَعْـداءِ، الَّـذِينَ فَـرَضُـوا الحِصارَ، حَوْلَ مَدِينَةِ الأَسْرار.. وكانَ قِوامُ الجَيْشِ عَشْرةَ آلافِ مُقاتِلٍ، وألفَ فارِسٍ، ومائةً مِن المُعاوِنينَ والحمّالِينَ.

وبَعْدَ شَهْرٍ مِن السَّيْرِ المُتَواصِـلِ، وَصَلَ الجَيْشُ بِـٱلقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ الأَسْرارِ، وأَطَلَّ القائِدُ مَعَ فُرْسانِهِ مِنْ فَـوْقِ تَلَّةٍ عَالِيـةٍ،

فَشاهَدُوا مَدِينَةَ الأَسْـرارِ مُحاصَـرةً، بِعَددٍ قَلِيـلٍ مِنَ الأَعْداءِ، لا يَتَجـاوَزُ ألفَ جُنْدِيٍّ، ومـائةَ فـارِسٍ، وكَمِيّـةً قَلِيلةً مِنَ العَتـاد. فَدُهِشَ قائِدُ الفُرْسانِ وقَالَ: «هَـذَا عَجِيبٌ، كَيْفَ جاءَتْنـا الأَخْبارُ بـأَنَّ مَـدِينـةَ الأَسْـرارِ، مُحـاصَـرَةٌ بِـأَلْفِ ألفِ جُنْـدِيٍّ مِن جُنُـودِ الأَعْداءِ، وعَشْرةِ آلافِ فارِسٍ وجَوادٍ، حَتَّى خَشِينا عَلَى كُنُوزِها مِنَ النَّهْبِ، وَعَلى أَهْلِها مِنَ القَتْلِ؟».

قـالَ أَحَدُ الفُـرْسانِ: «لَا بُـدَّ أَنَّ الأَخْبارَ كَـانَتْ كاذِبـةً أيُّها القائِدُ أو مُبالَغاً فِيها، والرأْيُ عِنْدي أنْ نُهاجِمَ جَيْشَ الأَعْداءِ فِي الحَالِ، وَلَنْ تَمْضِيَ ساعَةٌ حَتَّى نَكُونَ قَـدْ أَلْحَقْنا بِـهِ الهَزِيمَـة. فإنَّ جَيْشَنا يُماثِلُ جَيْشَ الأَعْداءِ عَشْرَ مَرَّاتٍ فِي الجُنُودِ والفُرْسانِ والعَتادِ، ولا حَاجَةَ بِنا إلَى الخِدْعةِ أو الاحْتِيالِ، ورَسْمِ الخُطَطِ لِهَزِيمَةِ الأَعْداءِ، فالأَمْرُ يَبْدُو سَهْلاً هَيِّناً، لا يَحْتاجُ إلَى خُطَطٍ أو تَدْبِيرٍ».

فَكَّـرَ قائِـدُ الفُرْسـانِ لَحْظَةً ثُمَّ قَـالَ: «هَـذَا رأيٌ صـائِبٌ، ويَجِبُ أنْ نَأْخُذَ الأَعْداءَ عَلى غِرةٍ، فَلا يَفيقُوا إلَّا بَعْـدَ أنْ تَكُونَ الهَزِيمَةُ قَدْ حَلَّتْ بِهِمْ، وبَدَّدَتْ شَمْلَهُمْ ومَزَّقَتْ صُفُوفَهُمْ».

وأَعْطَى قائِدُ الفُرْسانِ إشارتَهُ، وَفِي الحَالِ ٱنْدَفَعَ جَيْشُهُ، يَتَقَدَّمهمُ الفُرْسانُ، ومِنْ خَلْفِهِمْ رُماةُ السِّهامِ، ومِنَ الوَراءِ الجُنُودُ المُشاة. وٱنْدَفَعَ الجَمِيعُ نَحْوَ جَيْشِ الأَعْداءِ، مُهاجِمِينَ، بِشَجاعَةٍ وحَماسَةٍ.

وما كَادَ الجَيْشانِ يَتَلاحَمانِ، حَوْلَ أَسْوارِ مَدِينَةِ الأَسْرارِ، حَتَّى أَطْلَقَ حامِلُ نَفِيرِ الأَعْداءِ نَفِيرَهُ فَجْأَةً. وفِي الحَالِ دوَّى صَوْتٌ هائِلٌ، كأَنَّهُ الرَّعْدُ أَوِ الزِلْزالُ، وٱنْدَفَعَ مِن الغابَةِ القَرِيبَةِ، أَلفُ ألفِ جُنْدِيٍّ مِن جُنُودِ الأَعْداءِ، وعَشْرةُ آلافِ فارِسٍ مِن فُرْسانِهِمْ، وهُمْ يَدُكُّونَ الأَرضَ بِأَحْذِيَتِهِمْ وسَنابِكِ جِيادِهِمْ، فٱرْتَجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا، وعَلا الصَّخْبُ والضَّجِيجُ يَصُمُّ الآذانَ، وٱمتلأَ المَكانُ بِسَحابَةٍ هائِلَةٍ مِنَ التُّراب. وعِنْدَما شَاهَدَ قائِدُ الفُرْسانِ، جَيْشَ الأَعْداءِ الَّذِي كَانَ مُخْتَبِئاً فِي الغابَةِ، قَالَ ذَاهِلاً لِفُرسانِهِ: «لَقَدْ خَدَعَنا الأَعْداءُ فأَخْفُوا قُوَّتَهُمْ الحَقيقيَّةَ دَاخِلَ الغابَةِ، وتَرَكُوا عَدداً قَلِيلاً أَمامَ أَسْوارِ المَدينَةِ لِيُغْرُونا بِقِتالِهِمْ، بِلَا خُطَّةٍ أَوْ خِدعةٍ، فَيا لَهُمْ مِن ماكِرِينَ مُخادِعِين!».
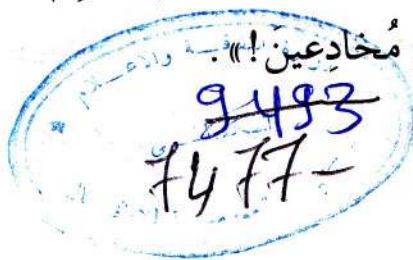
* * *

وٱنْـدَفَعَ جَيْشُ الأَعْـداءِ، كَأَنَّـهُ السَّيْلُ الجـارِفُ، الَّذِي لا يَسْتـطِيعُ إِيقـافَهُ أوْ مَـواجَهَتَهُ إِنسـانٌ. وعَرِفَ قـائِدُ الفُـرْسـانِ أنَّ المَعْرَكَةَ لَنْ تَسيرَ لِصالِحِ جَيْشِهِ، مَهْما قَاتَلَ وحَارَبَ أوْ أظْهَرَ مِنَ الشَّجاعَةِ والبَسالَةِ. فَقَدْ كَانَ جَيْشُ الأَعْداءِ قَدْرَ جَيْشِهِ مائَةَ مَرَّةٍ، ولَكِنَّ القائِدَ صَاحَ فِي فُرْسانِهِ وجُنُودِهِ: «أَيُّها الفُـرْسانُ والجُنُـودُ، قاتِلُوا بِكُلِّ ما لَدَيْكُمْ مِنْ قُوَّةٍ، فإمّا النَّصْرُ أو الشَّهـادَةُ، ولا شَيْءَ بَيْنَهُما».

فٱنْدَفَعَ جَيْشُ القائِدِ يُقاتِلُ بِكُلِّ ما لَدَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ، يَتَقَدَّمُهـم قائِدُ الفُرْسانِ نَفْسُـه. وتَقابَـلَ الفَريقـانِ: فَعَلَتْ قَعْقَعَةُ السِّـلاحِ، وصَهِيـلُ الخُيُولِ، وصِيـاحُ الجُنُـودِ، وصَلِيـلُ السُّيُـوفِ، وأَزِيـزُ السِّهامِ، وأَبْدَى قائِدُ الفُرْسانِ مِنَ الشَّجاعَةِ والمَهـارَةِ، ما يَعْجِـزُ عَنْهُ الوَصْفُ، فَكانَ يَقْتُلُ فِي الضَّـرْبَةِ الـوَاحِدَةِ رَجُلَيْنِ، ويَطِيحُ بِسَيْفِهِ رَقْبَةَ كُلِّ مَنْ يُصادِفُهُ مِنَ الأَعْداء. ولَكِنْ بَعْـدَ وَقْتٍ أَصابَ ذِراعَهُ الخدَرُ ووَهَنَتْ قُـوَّتُهُ، وشـاهَدَ جَيْشَـهُ يَتَقَهْقَرُ إِلَى الـوَراءِ، وأفْـرادَهُ يَتساقَـطُونَ وُحْدانـاً وجماعـاتٍ، بِسَببِ كَثْـرَةِ الأَعْـداءِ، ومُحاصَرَتِهِمْ لِجُنُودِهِ مِنْ كُلِّ مكـان. وأُصيبَ قائِـدُ الفُرْسـانِ فِي ذِراعِـهِ وقَدمِـهِ وكتِفِهِ، ونَـزَفَ كَثِيراً، وأوْشَـكَ أنْ يَسْقُطَ مِن فَوْقِ

ظَهْرِ جَوادِهِ بِسَبَبِ شِدَّةِ الإِعْياءِ وكَثْرةِ ما نَالَهُ مِنْ إِصابات .

شـاهَـدَ عـلاء كُـلَّ مـا جَـرَى، وكَـانَ مَكـانَـهُ فِي مُؤَخِّـرةِ الجَيْش ، فَهَتَفَ غاضِباً: «هَؤُلاء الأَعْـداءُ الملاعِينُ المـاكِرُونَ، لَقَدْ خَدَعُونا وجَرُّونا إِلَى قِتالِهِمْ بِلا حَذَر» .

وٱنْـدَفَعَ إِلَى الصُّفُـوفِ الأَمامِيَّـةِ يَبْغِي المُشارَكَـةَ فِي قِتالِ الأَعْـداء. وفِي اللَّحْظةِ نَفْسِهـا وَقَعَتْ عَيْنـاهُ عَلَى أَحَـدِ فُـرْسـانِ الأَعْـداءِ، وهُوَ يُصَـوِّبُ نَبْلَتَهُ إِلَى قـائِدِ الفُـرْسانِ، ويُـوشِكُ عَلى إِطْلاقِها نَحْوَ القائِدِ الجَرِيحِ ، وفِي الحَالِ قَبَضَ عـلاء بِأَصابِـعِ قَـدمِهِ عَلَى حـرْبةٍ مُلقـاةٍ فَوْقَ الأَرْضِ ، وأطْلَقَهـا كٱلسَّهْمِ نَحْـوَ الفَارِسِ ، فَشَقَّتْ صَدْرَهُ وقَتَلَتْهُ فِي الحَالِ ، فَسَقَطَ فَوْقَ الأَرْضِ بِلا حِراكٍ .

إِلْتَفَتَ قـائِدُ الفُـرْسانِ إِلَى عـلاء وقَالَ: «شُكـراً لَـكَ أَيُّهـا الشَّابُّ الشُّجاعُ، لَقَدْ أَنْقَذْتَ حَياتِي» .

قَالَ عَلاء: «سَيِّدي القائِدُ، إِنَّ اسْتِمْرارَ المَعْرَكَةِ عَلَى هَذَا النَّحْـوِ نَوْعٌ مِنَ الانْتِحـارِ، وسَوْفَ يُبِيـدُنا الأَعْـداءُ عَنْ آخرِنـا إِنْ

ظَلَلْنا عَلَى قِتالِنا، مَهْما تَكُنْ شَجاعَتُنا، بِسَبَبِ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ، وزِيادَةِ عَتادِهِمْ».

قَالَ القائِدُ غاضِباً: «وَهَلْ تُرِيدُنا أن نَهْرُبَ مِنَ المِيدَانِ، ونَتْرُكَ بِلادَنا لِلأَعْداءِ لِنَنْجُوَ بِأَنْفُسِنا؟».

أَسْرَعَ علاء يُصَوِّبُ حرْبَةً أُخْرَى نَحْوَ أَحَدِ جُنُودِ الأَعْداءِ، الَّذِي أوْشَكَ عَلَى ضَرْبِ قائِدِ الفُرْسانِ بِسَيْفِهِ، فَقَتَلَتِ الحرْبَةُ جُنْدِيَّ العَدُو. وهَتَفَ علاء فِي قائِدِ الفُرْسانِ: «سَيِّدِي القائِدُ، إنَّ المَوْتَ أهْوَنُ عَلَى المُقاتِلِ الشَّرِيفِ مِن الفَرارِ، وأنا لَمْ أطْلبُ ذَلِكَ، ولَكِنّي أرَى أنْ نَتَقَهْقَرَ دَاخِلَ أَسْوارِ مَدِينَةِ الأَسْرارِ، حَتَّى نَسْتَطِيعَ جَمْعَ شَمْلِ جَيْشِنا مَرَّةً أُخْرَى، ومُداواةَ مُصابِينا، والتّفْكيرَ فِي خُطَّةٍ نَقْهَرُ بِها جَيْشَ الأَعْداء».

لَمَعَتْ عَيْنا القائِدِ وقَالَ: «هَذِهِ فِكْرَةٌ صائِبَةٌ، وَقَدْ يَكُونُ فِيها إنْقاذُنا ونَصْرُنا».

وأَعْطَى قائِدُ الفُرْسانِ إشارَةً، فَتَقَهْقَرَ ما تَبقَّى مِن جَيْشهِ فِي الحَالِ، وٱنْدَفَعُوا نَحْوَ أَبْوابِ مَدِينَةِ الأَسْرارِ. وفَهِمَ القائِمُونَ عَلَى الأَبْوابِ خُطَّةَ قائِدِ الفُرْسانِ، فَفَتَحُوا أَبْوابَهُمْ بِسُرْعَةٍ،

وٱنْدَفَعَ جَيْشَهُمْ لِيَحْتَمِيَ بِٱلْأَسْوار. وَقَبْلَ أنْ يَصِلَ إِلَيْها الأَعْداءُ أَغْلَقَ الحُرَّاسُ الأَبْوابَ، فَنَجا الجَمِيعُ مِنَ الأَعْداء.

حَمَلَ الفُرْسانُ قائِدَهُمْ، وأرْقَدُوه فِي فِراشٍ مُريحٍ، وضَمّدُوا جِراحَهُ، وسَأَلَ القائِدُ مَنْ تَبَقَّى مِن فُرْسانِهِ عَنِ الحالِ فِي الخَارِج. فأَطَلَّ الفُرْسانُ مِن فَوْقِ الأَسْوارِ، وعادُوا يَقُولُونَ لِقائِدِهِمْ: «إنَّ الأَعْداءَ يُحاصِرُونَ المَدِينَةَ مِنْ كُلِّ الأَرْكانِ، كأَنَّهُم النَّمْلُ أو الجَرادُ، وقَدْ بَدَأُوا بِمُحاوَلَةِ تَحْطِيمِ الأَبْوابِ بِمَعاوِلَ ضَخْمَةٍ، وجُذُوعِ الأَشجار».

سَأَلَ القائِدُ حُراسَ أَبْوابِ المَدِينَةِ: «كَمْ مِن الوَقْتِ سَتَتَحمّلُ أبْوابُ المَدِينةِ هَذِهِ الضَربات؟».

فأَجابَ الحُرّاسُ: «إِنّها لَنْ تَتحَمَّلَ أكْثرَ مِنْ ساعاتٍ أَيُّها القائِدُ. وَقَبْلَ أَنْ تُشْرِقَ شَمْسُ الصَّباحِ، سَيَتَمَكَّنُ الأَعْداءُ مِنْ تَحْطِيمِ الأَبْواب».

نَهَضَ القائِدُ مُتأَلِّماً وقَالَ: «وما العَمَلُ الآنَ؟.. إِنَّنا مُحاصَرُونَ مِن كُلِّ الأَرْكانِ، ولا أَمَلَ فِي النَّجاةِ.. سَوْفَ يَقْتَحِمُ الأَعْداءُ أَبْوابَ المَدِينَةِ، فَيَقْتُلُونَنا مَهْما كَانَتْ شَجاعَتُنا».

رَاقبَ علاء قائِدَ الفُرْسانِ حَزِيناً، وتَمَنَّى لَوْ كَانَ بِٱسْتِطاعَتِهِ تَقْدِيمُ المَعُونَـةِ، أو التّضْحِيَـةُ بِنَفْسِـهِ، لإنْقاذِ بِـلادِه. وتَقَدَّمَ أحَـدُ سُكَّانِ المَدِينَةِ الكُهُولِ، وقَالَ لِقائِدِ الفُرْسـانِ: «سَيِّدِي القـائِد، إنَّ لَدَيَّ فِكْرةً، قَدْ يَكُونُ فِيهَـا إنْقاذُ مَـدِينَةِ الأَسْـرارِ، وكُلِّ مُـدُنِ بِلادِنا مِن الدَّمارِ. . فَعَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ أوْ رَكْضِ ساعَةٍ فَـوْقَ ظَهْرِ جَوادٍ، يَقَعُ سَدٌّ عَظِيمٌ، تُحْتَجَزُ خَلْفَهُ مِياهُ السُّيُولِ والأَمْطارِ، فإِذَا تَمَكَّنَ أحَـدُ الفُـرْسـانِ مِنْ بُلُوغِ السَّـدِّ، وأدَارَ ذِراعَـهُ الهَـائِلَةَ ومحابِسَهُ العَظِيمَة، إنْزاحَتْ أَسْتارُهُ، وتَهَدَّمَتْ أحْجارُهُ، وٱنْـدَفَعَ المَاءُ مِنْ وَرائِهِ كأَنَّهُ السَّيْلُ العارِمُ نَحْوَ جَيْشِ الأَعْداءِ، فَيُغْـرِقُهُمْ فِي الحَالِ. . وَهَذَا هُوَ السَّبِيلُ الوَحِيدُ لِهَزِيمةِ الأَعْداء».

قَـالَ قائِـدُ الفُرْسـانِ بِقلَقٍ: «وَلَكِنْ. . ألا يُمْكِنُ أن يُغْـرِقَ السَّيْلُ سُكَّانَ مَدِينَةِ الأَسْرارِ، بَعْدَ أنْ يَجْتاحَ الأَعْداء؟».

أجـابَ الكَهْلُ: «لا يـا سَيِّدِي، فـأَسْوارُ المَـدِينَةِ حَصِينَـةٌ قَوِيّةٌ، ويُمْكِنُها أنْ تُواجِهَ مائةَ سَيْلٍ أوْ شَلَّالٍ. . كَما أنَّ الأَرْضَ مُنْحَدِرةٌ خَلْفَ المَدِينَةِ، وسَيَسْقُطُ فِيها الماءُ، ولَنْ يُصِيبَ المَدِينةَ بِأذًى».

قَـالَ القائِـدُ: «إِذَنْ فَلْنُعَجِّـلْ بِهَـذَا العَمَـلِ ، قَبْـلَ شُـرُوقِ شَمْسِ النَّهارِ، وقَبْلَ أنْ يَتَمَكَّنَ الأَعْداءُ مِنْ تَحْطِيمِ أَبْوابِ مَدِينَةِ الأَسْرار».

ونَادَى فِي رِجالِهِ قائِلاً: «مَنْ مِنْكُمْ يُخاطِرُ بِحَياتِـهِ ويَمْتَطي جَـوادَهُ، فَيَخْتَـرِقَ صُفُـوفَ الأَعْـداءِ ويَصِـلَ إِلَى السَّـدِّ، فَيَفْتَـحَ محابِسَهُ، ويُـدِيرَ ذِراعَـهُ ويُطْلِقَ مـاءَه، عَسَى أنْ يَكُون فِي ذَلِـكَ نَصْرُنا، ودَحْرُ أعْدائِنا؟».

تَقَـدَّمَ أحَدُ الفُـرْسانِ مِنَ القَـائِدِ وَقَـالَ: «سأُخـاطِرُ أَنـا يـا سَيِّدِي القائِد».

قَالَ الكَهْلُ مُحَـذِّراً: «وَلَكِنْ يَجِبُ أنْ تَعْلَمَ أَيّها الفَـارِسُ، أنّكَ مَتَى أدَرتَ ذِراعَ السَّدِّ ومحابِسَهُ، فَسَيَنْدفِعُ نَحْوَك ماءُ السَّدّ، ويُغْرِقُكَ فِي الحَال».

أجابَ الفارِسُ بِشَجاعةٍ: «لا يَهُمُّنِي ذَلِـك، ما دَامَ مَـوْتِي فِيهِ حَياةٌ لِوَطَنِي وقَوْمِي».

وفِي الحَالِ ارتَدَى الفَـارِسُ دِرْعَهُ، وتَسَلَّحَ بِسَيْفِـهِ ورِمْحِهِ وٱمْتَطَى ظَهْرَ جَوادِهِ، وٱنْدَفَـعَ فِي اللَّيْلِ خَـارِجاً مِنْ أحَـدِ أبْوابِ

الأَسْـوارِ الخَفِيَّـةِ حَتَّى لا يَـراهُ جُنُودُ الأَعْـداءِ، وأَسْـرَعَ يَنْهَبُ الأَرْضَ بِجَـوادِهِ فِي ٱتِّجـاهِ السَّـدِّ. ولَكِنَّ بَعْضَ جُنُـودِ الأَعْـداءِ لَمَحُوهُ وطارَدُوهُ ودارَت بَيْنَهُمْ مَعْرَكَةٌ، قَاتَلَ فِيها الفارِسُ بِبَسـالَةٍ، ولَكِنَّـهُ سَقَطَ صَرِيعـاً فِي النِّهايَـةِ بِسَبَبِ تَكـاثُـرِ جُنُـودِ الأَعْـداءِ، وإِصابَتِهِ بِمائةِ ضَرْبةٍ.

شَاهَدَ قائِدُ الفُـرْسانِ مـا جَرَى لِلفـارِسِ، مِن فَوقِ أَسْـوارِ المَـدِينَةِ، فغشّـاهُ الحُزْنُ واليـأْس. ولَكِنَّ فارِسـاً آخر عَـرَضَ أن يَقُومَ بِٱلمُهِمَّـةِ نَفْسِها، وٱنْـطَلَقَ بِجَوادِهِ، فَكـانَ مَصِيرُهُ كَـزَمِيلِهِ. وتَوالَتْ مُحاوَلاتُ الفُرْسانِ خِـلالَ اللَّيْلِ ففَشِلُوا جَمِيعـاً، وماتُـوا صَرْعَى ضَرَباتِ الأَعْداء. وانقضى الوَقْتُ سَرِيعـاً، حَتَّى لَمْ يَعُدْ باقِياً غَيْـرُ ساعَتَيْنِ عَلَى طُلُوعِ الفَجْـر. وتَضاءَلَ الأَمَـلُ فِي صَدْرِ قـائِدِ الفُـرْسـانِ، وأَدْرَكَ أنّـهُ لا سَبِيـلَ إِلَى بُلُوغِ السَّـدِّ، وإِنْقـاذِ المَدِينَةِ، وهَزِيمَةِ الأَعْداء.

تَقَدَّمَ علاء نَحْوَ قائِدِ الفُرْسـانِ وقَالَ لَـهُ: «سَيِّدِي القـائِدُ، هَـلْ تَسْمَحُ لِي بِشَـرفِ المُحـاوَلَـةِ لاخْتِـراقِ صُفُـوفِ الأَعْـداءِ، والـوُصُـولِ إِلَى السَّـدِّ، فَقَـدْ أَتَمَكَّنُ مِنْ رَفْـعِ ذِراعِـهِ، وإِدارَةِ مَحابِسِهِ؟».

تَصـاعَدَتْ أصْـواتُ الـدَّهْشَـةِ والاسْتِنكـارِ مِنَ الـواقِفِين، وصَاحَ أحَدُ الفُرْسانِ غاضِباً: «ما هَذَا الَّـذِي تَقُولُـهُ أيُّها الأَكْتَـعُ، إنّ الفُرْسانَ قَـدْ فَشِلُوا فِي آخْتِراقِ صُفُـوفِ الأَعْداءِ، فَهَـلْ تَظُنُّ أنَّكَ سَتَنْجَحُ فِي ذَلِكَ؟».

وقَـالَ آخَرُ: «وَكَيْفَ سَتَقُـودُ الجَـوادَ الَّـذِي سَيَحْمِلُكَ إلَى هُناك وتُمْسِكُ اللِّجامَ، وأنتَ بِلا ذِراعَيْنِ؟».

أجـابَ علاء: «لا حـاجَةَ بِي إلَى جَـوادٍ، ولَعَـلَّ هَـذَا مـا يُسَهِّل مُهِمَّتِي، فَعِنْدَمـا يَرانِي الأَعْـداءُ سَيَظُنُّـونَنِي شابًّـا فَقِيراً ذا عاهَةٍ لا عِلاقَةَ لَهُ بِالجَيْشِ، ورُبّمـا يَدَعُـونَني أمُرُّ في سَـلامٍ.. فـأُفيدُ مِن سُـرْعَتي فِي الوُصُـولِ إلَى مكانِ السَّـدِّ قَبْـلَ الفَجْـرِ، وأحاوِلُ إدَارَةَ محابِسِهِ».

قَالَ قائِدُ الفُرْسانِ وَهُوَ يَتأَمَّلُ عَلاء بِإعْجابٍ: «أَيُّها الشَّـابُّ الشُّجـاعُ، لَقَدْ أنْقَـذْتَ حَيـاتِي مِنْ قَبْـلُ، وأرْجـو أنْ تَتَمَكَّنَ مِنَ النَّجاحِ هَذِهِ المرَّة أَيْضاً، فَلَمْ يَعُدْ لَنا أَمَلٌ سِوَاكَ، والفَجْـرُ عَلَى الأَبْـوابِ، ولَمْ يَعُدْ بـاقِيـاً عَلَى شُـرُوقِ الشَّمْسِ غَيْـرُ سـاعَتَيْنِ، وأَرْجُـو مِنَ اللهِ أنْ يَكُـونَ فِي نَقصِـكَ إنْقـاذُنـا، وفِي عَـاهَتِـكَ نَصْرُنا».

ولَكِنَّ الفُـرْسانَ أبْـدُوا عَدَمَ الـرِّضى، وإنْ لَمْ يَعْتَـرِضـوا، وقَـالَ بَعْضهُمْ لِبَعْضٍ: «فَلْنَصْعَدْ فَـوْقَ الأَسْوارِ، لِنُشـاهِدَ نِهـايَةَ هَذا الشَّابِّ المَجْنُونِ، الَّذِي يَظُنُّ وهُوَ بِلا ذِراعَيْنِ أنَّهُ قـادِرٌ عَلى تَحْقِيقِ مَـا لَم يَسْتـطِـعْ أن يَقُـومَ بِـهِ أعْـظَمُ الشُّجْعـانِ، وأمْهَـرُ الفُرْسان».

صَعِدَ الفُرْسانُ وقائِدُهُمْ إِلَى الأَسْوارِ، وخَرَجَ علاء مُتَسلِّلاً مِنَ البَابِ الخَفِيِّ إِلَى صُفُوفِ الأَعْداءِ، وسارَ بَيْنَهُمْ وَهُوَ لا يُبْدِي الاهْتِمـامَ حَتَّى لا يَشُكَّ فِيـه أحَدٌ. لَكِنّ أَحَـدَ الجُنُـود آسْتَـوقَفَـهُ قائِلاً: «مَنْ أنْتَ أيُّها الشّابُ وإلَى أيْنَ تَمْضي؟».

أجابَ علاء: «إنّي شابٌّ ذُو عَاهـةٍ وخَرَجْتُ لِلتجَـوّلِ مِن قَريَةٍ إِلَى أُخْرى وتأخّـرَ بي الـوَقْت». وكَشَفَ عَنْ ذِراعَـهِ فَضَحِكَ الجُنُودُ ساخِرِينَ مِن مَنْظَرِهِ وسَمَحُوا لَهُ بِالمُرُور.

ولَكِنْ قَبْـل أنْ يَعْبُرَ عـلاء صُفُوفَهُمْ، إنْـدَفَـعَ خَلْفَـهُ أحَـدُ الفُـرْسانِ وهُـوَ يَصِيحُ: «إمْسِكُـوا هَذَا الشَّـابَّ، إنّـهُ كـاذِبٌ ومِنَ الأَعْداءِ، فَقَدْ شـاهَدْتُـهُ يَصْرَعُ أحـدَ الفُرْسـانِ بِرُمْـحٍ أَطْلَقَهُ مِنْ قَدَمِهِ، لإِنْقاذِ قائِدِ جَيْشِه».

وفِي الحَالِ ٱنْدَفَعَ فُرْسانُ الأَعْداءِ نَحْوَ علاء، فأَدْرَكَ علاء حَرَجَ مَوْقِفِهِ، وأنّهُ هَالِكٌ إنْ لَمْ يُسْرِعْ بِٱلفَرار. فٱنْطَلَقَ جارِياً كأنّه رِيحٌ أو غزالٌ، وكَانَتْ سُرعَتُهُ فِي الجَري هائِلَةً، حَتَّى أنّ فُرْسانَ الأَعْداءِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا اللَّحاقَ بِهِ، وهُمْ فَوْقَ جِيادِهِمْ، فَصَوّبُوا سِهامَهُمْ وأطْلَقُوها عَلَيْه، فأَصابَهُ أَحَدُها فِي كَتِفِهِ، فَتَعثَّرَ علاء وسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ، فتهلَّلَ فُرسانُ الأَعْداءِ وعادُوا أدْراجَهُمْ، وهُمْ مُوقِنُونَ مِنْ مَقْتلِ علاء ومَصْرَعِه.

أمّا قائِدُ الفُرْسانِ فَتبلَّلَتْ عَيْناهُ وكَادَ يَبْكِي لِما أَصابَ علاء، وقَالَ الفُرْسانُ سَاخِرينَ: «لَقَدْ لاَقَى هَذَا الشَّابُّ نِهايَتَهُ، جَزاءَ غُرورِهِ، فَماذَا كَانَ يَسْتَطِيعُ أنْ يَفْعَلَ وهُوَ بِلاَ ذِرَاعَيْنِ؟».

ولَكِنَّ علاء لَمْ يَمُتْ، وإنْ تَظاهَرَ بِذَلِكَ حَتَّى يَكُفَّ فُرْسانُ الأَعْداءِ عَن مُطارَدَتِه. وعِنْدَما ٱطْمأَنَّ إِلَى ٱبْتِعادِهِمْ إِنْتَزَعَ السَّهْمَ بِقَدَمِهِ مِن كَتفِهِ، وكَتَمَ أَلَمَهُ، ثُمّ نَهَضَ جَارِياً بِأَقْصى سُرْعَتِهِ وَهُوَ يَعْرِفُ أنّ الوَقْتَ أصْبَحَ ضَيِّقاً جِدًّا، وأنَّ إنْقاذَ البِلادِ صَارَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ.

* * *

وَصَلَ علاء إِلَى السَّدِّ قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ بِساعَةٍ، بَعْدَ أَنْ قَطَعَ المَسافَةَ إِلَيْهِ فِي أَقَلَّ مِنْ ساعةٍ، ووَقَفَ يَلْتقِطُ أَنْفاسَهُ وكَتَمَ آلامَ جُرْحِهِ الَّذِي كَانَ يَنْزِفُ دِماءً غَزِيرةً. وأَلْقَى نَظْرةً عَلَى ذِراعِ السَّدِّ، فَوَجَدَها ضَخْمةً هائِلَةً، كأَنَّها جِذْعُ شَجَرةٍ أو نَخْلَةٍ، يَتطَلَّبُ رَفْعُها قُوَّةَ عَشْرةِ رِجال. وحَتَّى لَوْ كَانَ لِعلاء ذِراعانِ قَوِيّتانِ، ما أَمْكَنَهُ تَحْريكُها أَوْ زَحْزَحَتُها مِنْ مَكانِها.

أَمّا المَحابِسُ فَكانَتْ مُسْتدِيرةً كَبِيرةً، قُطْرُ كُلٍّ مِنْها مِتْرانِ، وتَتطلَّبُ قُوّةً هائِلَةً لإدارَتِها.

إِقْتَرَبَ علاء مِنَ الذِّراعِ الكَبِيرةِ والمَحابِسِ الضَّخْمةِ، وحَاوَلَ تَحْرِيكَها بِقَدَمْيهِ، ولَكِنّها لَمْ تَتأَثَّرْ بِمُحاولَتِه، أو تَتزَحْزَحْ مِنْ مَكانِها، فَعرفَ علاء أَنّهُ يَبْذُلُ جُهْداً ضائِعاً. وأَنَّ الأَمْرَ يَتطلَّبُ قُوّةً أَكْبَرَ مِنْهُ بِعَشَراتِ المَرَّات.

ووَقَعَ بَصَرُ علاء عَلَى بَعْضِ الجِيادِ البَرّيةِ تَرْعَى فِي الكَلإِ القَرِيبِ، وهِيَ آمِنَة مُطْمَئِنّةٌ. فانْبَعَثَ الأَمَلُ فِي نَفْسِهِ مَرّةً أُخْرَى، وقَالَ لِنَفْسِهِ: «لَوْ أَنّني تَمَكَّنْتُ مِن اصْطِيادِ هَذِهِ الجِيادِ، ورَبْطِها بِالحِبالِ لَزَحْزَحَةِ المَحابِسِ والذِّراعِ، لَكانَ فِي ذَلِك

نَجاةُ قَوْمي وَوَطَنِي ، والأَمْـرُ كُلُّه الآنَ أصْبَحَ يَعْتَمِـدُ عَلَى مَهارَتِي فِي ٱصْطِيادِ الجِيادِ بِقَدَميَّ».

والتَقَطَ حَبْـلاً قَرِيبـاً، وعَقَدهُ بِـأصابِـعِ قَدَمَيـهِ فَصَنَـعَ مِنْـهُ أنْشُـوطةً طَـوِيلَةً، طَوَّحَها فِي الهَواءِ فَسَقَـطَتْ حَوْلَ رَقْبَـةِ أقْربِ الجِياد. وأَمْسَكَ علاء الحَبْلَ بِأَسْنانِـهِ، وقَادَ الجَـوادَ إِلَى الذِّراعِ الكَبِيـرَةِ، فَقَيَّدَ نِهـايةَ حَبْلِهِ فِي ذِراعِ السَّـدِّ بِأَصـابعِ قَـدَمِهِ، ثُمَّ التَقَطَ حَبْـلاً آخَرَ، وكَـرَّرَ المُحاولَـة. وفِي نِصْف ساعَـةٍ كَانَ قَـد ٱصْـطادَ عَشْرَةَ جِيَـادٍ بَرّيـةٍ، فَقَيَّدَهـا ورَبَطَ حِبـالَهـا بـالمحـابِسِ والذِّراعِ . ونَظَرَ إِلَى السَّمـاءِ فَشاهَـدَ الشَّمْسَ وهِيَ تُوشِـكُ على الشُّرُوقِ، فَلَمْ يَعُدْ بَـاقِياً عَلَى ٱنْتِهـاءِ المُهْلَةِ غَيْرُ دقَـائِقَ مَعْدُودَة. فَقَـالَ لِنَفْسهِ: «فـلأُسْرِعْ بِفَتْـحِ السَّدِّ، ولا بُـدَّ أنَّ الماءَ سَيَنْـدَفِعُ نَحْوَ الأَعْداءِ بِسُـرعةٍ عَـظِيمةٍ فِي دَقـائِقَ قَلِيلةٍ، فَيُغْرِقَهُمْ قَبْـلَ أن يَتمكّنُوا مِنْ تَحطِيمِ أبْوابِ مَدينَةِ الأَسْرار».

وصَرَخَ علاء فِي الجِيادِ المَرْبُـوطةِ بِـٱلحِبالِ ، فَجَفلَتْ فِي الحَـالِ ، وٱنْطَلَقَتْ مَفْـزُوعَةً وهِيَ تَشُـدُّ حِبالَهـا، فَتَحَرَّكَتْ ذِراعُ السَّدِّ، ودارَتِ المَحابِسُ بِقُوّةِ الخَيْلِ ، وٱنْـدَفَعَ المـاءُ مِنْ خَلْفِ

السَّدِّ كأنَّهُ الطّوفانُ، فَجَرَفَ كُلَّ شَيْءٍ فِي طَرِيقهِ وَهُوَ يَجْرِي هادِراً، بِصَوْتٍ يَصُمُّ الآذَان. ولَطَمَ الماءُ علاء، ودَفَعَهُ بعُنْفٍ شَدِيدٍ، وأغْرَقَهُ فِي جَوْفِهِ. . وحَاوَلَ علاء أن يَصْعَدَ إِلَى سَطْحِ الماءِ، مُسْتَخْدِماً قَدَمَيْهِ، لَكِنَّ المُحاوَلَةَ كَانَتْ عَسِيرةً عَلَيْهِ، والسِّباحَةَ كَانَتْ أمْراً مُسْتَحيلاً بِٱلنِّسْبَةِ لَهُ لِفَقْدِهِ لِذراعَيْهِ. فَفَقَدَ علاء قُوَّتَهُ سَرِيعاً بِسَبَبِ الإِصابَةِ فِي كَتفِهِ، وكَثْرةِ ما نَزَفَ مِنْ دِماءٍ، وعَرفَ أنّه لا فَائِدَةَ مِنَ المُقاومةِ، فأَغْلَقَ عَيْنَيْهِ رَاضِياً بِمَوْتِهِ، ما دَامَ قَدِ ٱسْتَطاعَ إِنْقاذَ وَطَنِهِ وأهْلِهِ.

* * *

فَتَحَ علاء عَيْنَيْهِ، ودُهِشَ عِنْدَما شَاهَدَ نَفْسَهُ راقِداً فِي فراشٍ وَثِيرٍ، وقَدْ ضُمِّدَ جُرْحُهُ وخَفَّ ألَمُهُ، ودُهِشَ أكْثَرَ عِنْدَما شاهَدَ أجْمَلَ فَتاةٍ رآها فِي حَياتِهِ تَقُومُ بِالعِنايةِ بِهِ، والسَّهَرِ عَلَيْهِ، فَسَأَلَها مُنْدَهِشاً: «أَيْنَ أنا؟» فأَجابَتْهُ الحَسْناءُ: «إِنَّكَ فِي قَلْعَةِ قائِدِ الفُرْسانِ، وأنا ٱبْنَتُهُ».

فَتَذَكَّرَ علاء وَجْهَ الحَسْناءِ الَّتِي كَانَ قَدْ شاهَدَهَا فِي شُرْفةِ القَلْعةِ القَدِيمَةِ، قَبْلَ أنْ يَلْتَحِقَ بِجَيْشِ والِدِها، فَزادَ عَجَبُهُ

وسـأَلَها عَمَّـا جَرَى، ومـا المَصِيـرُ الَّـذِي ٱنْتَهَتْ إِلَيْـهِ الحَـرْب.
فـأَجـابَتْـهُ الحَسْنـاءُ: «لَقَـدْ كَـانَ النَّصْـرُ حَلِيفَنـا بِفَضْـلِ اللَّهِ وشَجاعَتِكَ، فَقَدْ وَصَلَ ماءُ السَّدِّ فِي الـوَقْتِ المُناسِبِ، قَبْـلَ أنْ يَتَمَكَّنَ الأَعْداءُ مِنْ تَحْطِيمِ أَبْـوابِ المَدِينَـةِ بِلَحظاتٍ، فـأَغْرَقَهُمْ كَأَنَّهُم النَّمْلُ أو الجَـرَاد. وفِي دَقائِقَ جَـرَفَهُم الماءُ بَعِيـداً، وهُمْ قَتْلَى أو غَـرْقَى، فَلَحِقَتْ بِهِمْ هَـزِيمَـةٌ شَنِيعَـةٌ، ولَمْ يَنْـجُ مِنْهُم إنْسانٌ، ولَمْ يَلْحَقْ بِمَدِينَةِ الأَسْرارِ ومَنْ كانُوا فِيها أيُّ أذًى».

أغْمَضَ علاء عَيْنَيْهِ فِي رَاحةٍ وقَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ».

ثُمَّ تَذَكَّرَ شَيْئاً فَفَتحَ عَيْنيهِ وقَالَ: «ولَكِنْ كَيْفَ تَمَّ إنْقـاذِي، وَقَدْ كُنْتُ عَلَى وشكِ الهَلَاكِ؟».

أَجابَتِ الحَسْناءُ: «لَقَـدْ تَمَّ ذَلِك بِفَضْـلِ رِعايَـةِ اللَّهِ لَكَ، فَقَدْ دَفَعَكَ الماءُ إِلَى الشاطِئِ قَبْلَ أنْ يُغرِقَكَ، فَعَثَرنا عَلَيْكَ بَعْدَ فَتْـرةٍ غـائِبـاً عَنِ الـوَعي، فـأَتَى بِـكَ والِـدِي إِلَى هُنـا، وأَمَـرَني بِرِعايَتِكَ والسَّهَرِ عَلَيْكَ».

وفِي اللَّحْظةِ نَفْسِها دَخَـلَ قائِـدُ الفُرْسـانِ، وٱحْتَضَنَ علاء وقَالَ: «لَقَدْ قُمتَ بِعَمَلٍ عَظِيمٍ أيُّهـا الشَّابُّ الشُّجـاعُ، وضَرَبْتَ

أرْوعَ الأَمْثالِ فِي قُدْرةِ الإِنْسانِ عَلَى البُطُولَةِ والكَمالِ، مَهْما كَانَ نَقْصُهُ أوْ عِلَّتُهُ، فَكُنْتَ خَيْراً مِنْ ألفِ فَارسٍ، وأفْضلَ مِنْ جَيْشٍ كامِلٍ. فَتَمَّ إنْقاذُ البِلادِ مِنَ الأَعْداءِ بِفَضْلِ شَجاعَتِكَ، ومِنْ أجْلِ هَذَا فَقَدْ أنعَمْتُ عَلَيْكَ بِلَقبِ فارِسٍ عَظِيمٍ، وسَتَكُونُ مُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ سَاعِدِي الأَيْمَنَ، ومُسْتشارِي الأَوّلَ فِي كُلِّ الحُرُوبِ والمَعارِكِ».

امتلأَتْ عَيْنا علاء بِآلدُّمُوعِ وقَالَ: «شُكْراً لَكَ يا سَيِّدِي قائِدَ الفُرْسانِ، فَهَذَا شَيْءٌ لَمْ أكُنْ أحْلُمُ بِهِ».

ونَظَرَ إِلَى آبْنَتِهِ الحَسْناءِ وقَالَ: «وشُكْراً لَكِ أيّتُها الفَتاةُ الكَرِيمَةُ بِسَببِ رِعايتِكِ، ومُداواتِكِ لي».

خَجِلَتْ إبْنةُ القائِدِ ممّا قَالَهُ علاء، وغادَرَتْ حُجرَتَهُ، وآبْتَسَمَ القائِدُ وقَالَ: «أيُّها الشَّابُّ البَاسِلُ، إنَّني أرَى فِي عَيْنَيكَ إعْجابَكَ بِآبْنَتي، وحُبَّكَ لها، فَهَلْ تُرِيدُ خِطْبَتَها والزَّواجَ مِنْها؟».

قَالَ علاء حَزِيناً: «وَهَلْ تَرْضَى أيُّ فَتاةٍ، بِآلزَّواجِ مِنْ شَابٍّ بِلَا ذِراعَيْنِ؟».

أَجابَ قائِدُ الفُرْسانِ: «إنَّ أيَّ فَتاةٍ تَتمنَّى الزّواجَ مِنْ شَابٍّ لَهُ شَجاعَتُكَ، فَهَذا شَرَفٌ لأيِّ فَتاةٍ مَهْما كَانَتْ، ومُنْذُ أعْوامٍ نَذَرَتْ ٱبْنَتي نَفْسَها، بألّا تتزوّجَ إلاّ الفارِسَ الَّذي يُظهِرُ مِنَ الشَّجاعَةِ ما لَمْ يُظْهِرْه إنْسانٌ».

قَالَ عَلاء: «ولَكِنْ أرْجُو أنْ تَسْأَلَها أوّلاً يا سَيِّدي قائِدَ الفُرْسانِ، فأَنَا أخْشَى أنْ تكونَ مَشاعِرُها نَحْوي شَفقةً ولَيْسَتْ حُبًّا أو إعْجاباً».

أجابَ القائِدُ: «سأفْعَلُ فِي الحَال».

وغابَ لَحظاتٍ ثُمّ عادَ وقَالَ: «إنّ ٱبْنَتي تَقُولُ، إنّهُ شَرفٌ لَها أنْ تَتَزوّجَ شابًّا شُجاعاً مِثْلَكَ، لا مَثيلَ لِشَجاعَتِهِ فِي كُلِّ البِلاد».

وأَمَرَ قائِدُ الفُرْسانِ فَخَرَجَ المُنادُونَ يُعْلِنُونَ نبأ زَواجِ ٱبْنَتِهِ الحَسْناءِ مِنَ الفارِسِ العَظِيمِ علاء. فَجاءَ والِدُهُ ووالِدَتُهُ العَجُوزانِ مُهنِئَيْنِ، وٱحْتَضَنا ٱبْنَهُما باكِيَيْنِ لِنَجاتِهِ، وما أظْهَرَهُ مِن شَجاعَةٍ.

وتَمَّ الـزَّواجُ، وعَاشَ عـلاء مَعَ زَوْجَتِـهِ فِي سَعادَةٍ وهنـاءٍ، ومِنْ وَقْتِها لَمْ يَعُدْ أيُّ إنْسانٍ يَحْزَنُ أوْ يَـيْأسُ، إذا فَقَدَ ذِراعَيْه أوْ حَتَّى ساقَيْهِ، بَلْ صَارَ كُلُّ إنْسانٍ يَسْتَمِدُّ مِن عَجْزِهِ قُوَّةً وإصْراراً، ويُعَوِّضُ نَقْصَهُ بِكَمالِهِ فِي صِفَةٍ أُخْرَى، وصَـارَ كُلُّ إنْسـانٍ يَتَمَنَّى أن يَكُونَ مِثْلَ الفارِسِ العَظِيمِ علاء، أَشْجَعِ الفُرْسان.

* * *

قال علاء: ولكن أرجو أن تسألها أولاً يا سيدي قائد الفرسان، فأنا أخشى أن تكون مشاعرها تحتوي شفقة وليست حبًا أو إعجابًا.

أجاب القائد: سأسألُ في الحال.

وغاب لحظات ثم عاد وقال: وإنَّ ابنتي تقول: إنه شرفٌ لها أن تتزوج شابًا شجاعًا مثلك، لا مثيل لشجاعته في كل البلاد.

وأمر قائد الفرسان فخرج المنادون يُعلنون نبأ زواج ابنته الحسناء من الفارس العظيم علاء. فجاء والده ووالدته العجوزان مهنئين، واحتضنا ابنهما باكيين لنجاته، ولما أظهره من شجاعة.

الفارس العظيم

أسئلـــة:

١ ـ اذكر صفات علاء ابن الخياط.

٢ ـ كيف كانت رده فعل الأولاد والناس تجاهه؟.

٣ ـ من كان يرضى بصحبته؟

٤ ـ كيف تعلم علاء الخياطة؟

٥ ـ ما كان تصرف علاء وأهله أمام إعلان الحرب؟

٦ ـ بِمَ عمل علاء في الجيش؟

٧ ـ ما كانت الخدعة التي تعرض لها جيش قائد الفرسان؟

٨ ـ كيف خلَّص علاء قائد الفرسان من الموت؟

٩ ـ ما كانت المحاولة الأخيرة لإنقاذ البلاد؟ وكيف قام علاء بذلك؟ أوجز الحدث.

ـ اشـــرح الكلمات التالية:

زاجرين ـ أقرانه ـ الكلأ ـ توانَيْتُ ـ اسرّ برغبته.

«ـ وما كاد الجيشان يلتحمان حول أسوار المدينة حتى أطلق حامل نفير الأعداء نفيره فجأة.»

ركب ثلاث جمل على غرار ما سبق تتضمن: وما كاد... حتى.

هذه السلسلة تتضمن:

١ ـ القصر المسحور
٢ ـ الفارس العظيم
٣ ـ القرصان والبهلوان
٤ ـ نور والأميرة بدور
٥ ـ أميرة البحر الفضيّ
٦ ـ جنيّة الأمنيات الطيبة
٧ ـ كهرمان والأمير بهاء الدين
٨ ـ الحصان السحري
٩ ـ جبل السحاب
١٠ ـ الفارس المقنع
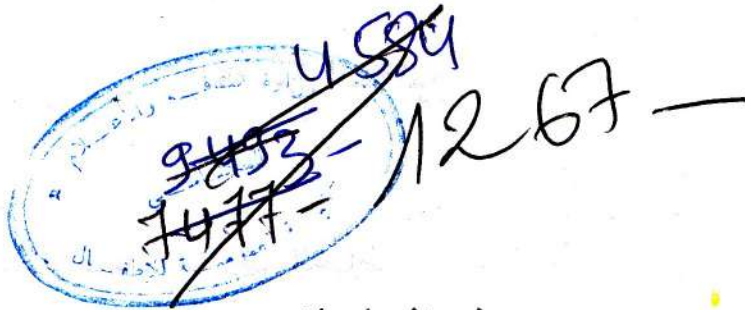
١١ ـ مغامرات عقلة الإصبع
١٢ ـ المرآة العجيبة
١٣ ـ الجوهرة الغالية
١٤ ـ البطل الصغير
١٥ ـ علاء الدين والحصان الطيّار
١٦ ـ الجزيرة المسحورة
١٧ ـ ذات الشعر الذهبي
١٨ ـ سعفان الجبار
١٩ ـ كنز الشاطر حسن
٢٠ ـ الحلم العجيب

مكتبة الطفل العربي

الفارِسُ العظِيم

● وُلِدَ الطّفلُ الصّغيرُ بِلا ذِراعين، ولكن عندما اشتدّ عودُه وكبرَ سنُّه لم ييأسْ من قَدَرِه.. وتعلّم كيف يستخدمُ قدميهِ مكانَ يديهِ، فكان أُعجوبةَ عصرِه وزمانِهِ..

وعندما جاءَ الأعداءُ وحاصروا البلادَ، كان أملُ النّصرِ الوحيدِ معقوداً على بطلنا، الّذي وُلِدَ بِلا ذِراعين. فكيف أنقذَ شعبَه، وتحوّلَ إلى فارسٍ عظيمٍ ؟

دار الجيل